صِدق اللجوء الحثِيث إلى الله المغِيث في تأخّر نزول الغَيث

2023-01-13

الحمد لله الوليّ الحميد، المبدئ المعيد، المؤمَّل لكشف كل كربٍ شديد، والمرجوّ للإحسان والفضل والمزيد؛ فسبحانه من إله تفرّد بالعزّ والكبرياء. يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في محكم التنزيل. كما في سورة الشورى:((وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)). وأشهد أنّ سيِّدَنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله. أخلص من دعا مولاه، وتقرّب إليه ورجاه، فهو سيّد الداعين. وسند الراجين.

يا أيّها الناس هذا سيّدُ الأُمَمِ * في طاعة الله رجّانا ورَغَّبَنَا
ومِنْ مخالفةِ الرحمان رَهَّبَنَا * يا أمّةً سعِدَتْ هذا نبيُّكُمُ
صلّوا على الهادي إلى الدّين القويمْ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النبيّ المحمود. وعلى آله ذوي الكرم والجود. وصحابته الموفين بالعهود. صلاة تبلّغنا بها من رضاك ورضاه غاية المنى والمقصود. وتفتح بها في وجوهنا كلّ باب مغلق ومسدود. وتجعل بها دعاءنا عندك مقبولا غير مردود. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. تأخّرُ نزولِ المطر في هذه الأيام، هو حديث كثيرٍ من الناس، في الأماكن والقرى التي تعتمد على الأمطار، يشكون قلّة الماء. بعد أن كانت الأودية والعيون نابضة بالماء, ويشكون جدب الأرض. بعد أن كانت الأرض مخضرّة, يشكون ذلك, وحُق لهم أن يشكوا؛ فإنّ الماء من أعظم نعَم الله تعالى, وهو أساس الحياة، قال عز وجل في سورة الأنبياء:((وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ)). وكثيراً ما يمتنّ الله تعالى على عباده بنعمة إنزال الماء من السماء، قال تعالى في سورة الواقعة:((أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنْ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ)). وقال سبحانه في سورة الروم:((اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ

خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)). ولا يعرف حقيقة الإستبشار. إلا مَن تعلّق قلبه بالأمطار, كما هي حال العرب التي وصفها لنا ربنا تعالى في سورة الروم فقال:((وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير)). أيّها المسلمون. ولنا أن نتساءل: ما سبب تأخّر نزول الأمطار؟ ما سبب القحطِ وجدبِ الأرض؟ والجواب لهذا السؤال في كتاب الله وسنّة رسول صلى الله عليه وسلم. واللهِ ما تأخّر المطر إلا بالذنوب والمعاصي، والفواحش والآثام، والبدع والمنكرات. فالمطر قد يتأخّر نزوله لأسباب يجنيها الناس بأيديهم، ويقارفونها بِفِعالهم، فيكون ذلك جزاء لهم على ضَعْف إيمانهم، وتنبيهًا لهم على بُعْدهم عن ربهم. قالَ تعالى في سورة الجن:((وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً)). وقالَ سبحانَهُ في سورة الأعرف:((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)). وروى الحاكم وابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ. خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ. وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ)). وروى البيهقي في شُعَب الإيمان أنّ أبا هريرة رضي الله عنه سمع رجلاً يقول:((إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، فَقَالَ: بَلَى وَاللهِ، حَتَّى الْحُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا هُزَالًا لَظُلْمِ الظَّالِمِ)). وقال مجاهد رحمه الله: (إنّ البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدّت السنة. وأمسك المطر. تقول: هذا بشؤم معصية بني آدم). وهذه حالتنا. حتى ولو جاء المطر فإنّما يأتي من أجل وجوه البهائم العجماء. والطفولة البريئة، لا من أجل وجوهنا الملوّثة والملوّثة، وهذا ما يؤكّده ما

جاء في الحديث القدسي. كما في الجامع الصغير للسيوطي. يقول الله تعالى:((لولا عبادٌ لله رُكَّعٌ، وصِبيةٌ رُضَّعٌ، وبَهائمُ رُتَّعٌ. لَصُبَّ عليكُمُ العَذَابُ صبًّا، ثمَّ رُصَّ رَصًّا)). أيّها المسلمون. الله جلّ وعلا يصرف الغيث كيفما شاء لحكَم عظيمة، قال تعالى في سورة الفرقان:((وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً)). أيْ أمطرنا هذه الأرض دون هذه. وسُقْنا السحاب يمرّ على أرضٍ ويتعدّاها ويتجاوزها إلى أرضٍ أخرى. فيُمطرها ويكفيَها ويجعلها غرقاً. والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء. وله سبحانه وتعالى في ذلك الحجة البالغة. والحكمة القاطعة. روى البيهقي عن ابن عباسٍ ري الله عنهما قال: ((ما من عامٍ بأمطرَ من عامٍ، ولكنَّ الله يُصرِّفه في الأرض كيف يشاء، وقرأ هذه الآية)). وعن ابن مسعودٍ ري الله عنه قال:((ليس من سنةٍ بأمطرَ من أخرى، ولكنَّ الله قسَّم هذه الأرزاق، فجعلها في السماء الدنيا، في هذا القطر ينزل منه كلَّ سنةٍ بكيلٍ معلومٍ ووزنٍ معلومٍ، وإذا عمل قومٌ بالمعاصي حوَّل الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصَوْا جميعًا صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار)). أيّها المسلمون. لقد جعل الله لكل شيء سبباً يجلبه. وآفة تذهبه. فالطاعات أسباب جالبة للنعم. حافظة لها. وهي وسائل لاستقرارها وكثرتها وتنوّعها. كما أنّ المعاصي أسباب مذهبة للنعم. جالبة للنقم. فهي تزيل النعم الحاصلة وتقطعها. والمطر إحدى هذه النعم. فهو بشارة خير وحياة للناس. كما قال تعالى في سورة الأنبياء:((وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ)). فالماء هو سر الحياة. وأساس البقاء. وهو أرخص موجود. وأعزّ مفقود. ولذا امتنّ الله به على عباده في كثير من آيات القرآن الكريم. أيّها المسلمون. إلجاؤا إلى الله. واصدُقوا في التوبة. وأكثروا من الإستغفار. وَقَدْ حَثَّ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ أَقْوَامَهُمْ عَلَيْهِ، وَبَيَّنُوا لَهُمْ حَمِيدَ عَاقِبَتِهِ، وَحُسْنَ ثَمَرَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ حَاكِيًا عَنْهُمْ:((وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ)). أَيْ: يُمَتِّعْكُمْ بِالْمَنَافِعِ مِنْ سِعَةٍ فِي الرِّزْقِ، وَرَغَدٍ فِي الْعَيْشِ. وَهَذَا مَا أَكَّدَ عَلَيْهِ سيّدنا هُودٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْهُ:((وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ)). وقَالَ سيّدنا نُوحٌ عَلَيْهِ

السَّلاَمُ:((إِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)). وأكثروا من الدعاء. فهو سلاح المؤمنين الصادقين. وها أنتم تسألون ربكم الغيث وترجونه. وهو صاحب الجود والكرم. خزائنه ملآى لا تعجزه النفقة. يده سحّاء تنفق الليل والنهار. فأكثروا من دعائه. وأقبلوا عليه بقلوب حاضرة. فربنا قريب مجيب. قال سبحانه وتعلى في سورة البقرة:((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)). وقال في سورة الأعراف:((وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ)). و روى الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:((أُدْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ)). أيّها المسلمون. الخلائق فقراء إلى الله. محتاجون إليه. لا غنى لهم طرفة عين عن رحمته وفضله. وجوده وكرمه. يفزعون إليه عند النوائب. ويهرعون إليه عند الشدائد. سلاحهم الدعاء. الذي يُستدفع به البلاء. ويُردّ به شر القضاء. وهل شيء أكرم على الله من الدعاء؟ إنه العبادة العظيمة. التي هي من أشرف العبادات وأجلّها. وأقربها إلى الله. به تحيا القلوب. وتُفرج الكروب. وتُغاث اللهفات. وتنزل البركات. قال تعالى:((وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)). وقد أثنى الله على عباده الذين يدعونه. فقال في سورة الأنبيا:((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)). وحذاري حذاري أن تقولوا دعونا ولم يُستجب لنا. فالله جل وعلا حكيم عليم. يَصرف الأمطار حيث يشاء. ونحن مطالبون بفعل الأسباب. وتقدير الأمور بيد العزيز الحكيم. أيّها المسلمون. إذا كنّا مستعدّين للإلتزام بلوازم الإيمان والتقوى؛ والإستقامة والتوبة. والإستغفار والشكر. فسنكون أهلا لرفْع أكفّ الضراعة إلى الله تعالى بالنجوى، والإلتجاء إليه بالشكوى والدعوى؛ فنقول راجين أن يَرفع عنّا الجفاف والبلوى: اللَّهمَّ اسْقِ عِبادَك وبَهِيمَتَك. وانشُرْ رحْمتَك. وأَحْيِ بلدَك الميِّت. اللهمّ اسقِنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. اللهمّ يا ناشر السحاب في السماء، ويا منزل الغيث والماء، فانشر علينا رحمتك. وأنزل علينا غيثك يا أرحم الراحمين، يا حيّ يا قيوم

برحمتك نستغيث، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلهَ أَنْت، أنت الغَنِيُّ وَنَحْنُ الفُقَراءُ، اللهمّ اسقنا غيثا مَغِيثا، نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل، اللهمّ أنبت لنا الزرع. وأَدِرَّ لنا الضّرع، واسقنا من بركات السماء، وأنبت لنا من بركات الأرض، اللهمّ إنّا نستغفرك إنك كنتَ غفارا، فأرسل السماء علينا مدرارا، اللهمّ مغفرتك أوسع من ذنوبنا. ورحمتك أرجى عندنا من عملنا، اللهمّ لا تُهْلكنا بذنوبنا ولا بذنوب غيرنا، اللهمّ لا تُهْلكنا بما فعل السفهاء منّا، اللهمّ ارحمنا ولا تَحْرِمْنا، ووفّقنا ولا تفرِّقنا، واخْتَرْنا للخير ولا تُؤَخِّرنا، وألهمنا ولا تُهْمِلنا، وأكرمنا ولا تُـهِنّا، وقِنا ولا تفتنّا، وآثِرنا ولا تُؤْثِر علينا، واقْبَلْنا وأَقْبِل علينا، وأَرْضِنا وارْضَ عنّا، وزدنا من كل ذلك ولا تنقصنا. اللهمّ اقض غَرَضنا، واشف مرضنا، واستر عِرْضنا، واسق أرضنا، اللهمّ اسقنا بالغيث ولا تسقطنا في الفتنة، اللهمّ أسبغ علينا من نِعمك التي لا تُعدّ ولا تُحصى، واغفر لمن أذنب منّا وعصى، وأغثنا بغيثك الأدنى والأقصى، لا إله إلا أنتَ سبحانك إنّا كنّا من الظالمين، رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ